الفصل الرابع

عرض لأهم أدلة الشيعة في اعتبار الإمامة أصلا عظيما من أصول الدين

قلت في باب عرض ما يجب على المسلم السني أن يعتقده إذا تشيع، أن عليه أن يعتبر الإمامة أهم أركان الإيمان والإسلام، ويقبل قول علماء الشيعة بأن من لا يؤمن بالإمامة مثل الذي لا يؤمن بالله ورسوله محمد ﷺ، ومن جحدها استحق الخلود في النار.

كما عليه (الضمير هنا يعود على المسلم السني) أن يفهم، بناء على ما تقدم، أن لقب "المؤمن" لا ينطبق إلا على من يؤمن بولاية علي ﷺ وبقية أئمة الشيعة الإثني عشرية من بعده. والإسلام، من دون الإيمان بولاية علي ﷺ وبقية أئمة الشيعة الإثني عشرية من بعده، لا يدخل الجنة، ولا يغني عن صاحبه شيئا يوم القيامة.

وعليه أن يؤمن بأن الإمامة منصب إلاهي واختيار رباني، وأن يؤمن بصلاحيات كبيرة جدا للإمام، فهو وصي النبي ﷺ، والقيم على الدين بعده، وهو معصوم، مع صلاحيات أخرى سنعرضها بتفصيل في

حينها، ويدخل في باب تعظيم الأئمة الاعتقاد بأنهم يسمعون الدعاء وينفعون ويضرون بإذن الله، بحيث يجوز التوجه لهم بالدعاء مباشرة وطلب الحوائج منهم، باعتبار أنهم أناس مكرمون.

والسؤال المنطقي الذي يفرض نفسه هنا هو: هل توجد أدلة صحيحة واضحة في الإسلام توجب على المسلم الإيمان بهذه المعتقدات؟

من أقوال الشيعة: من أنكر الإمامة خرج عن الدين

في أجوبة الأسئلة العقائدية، في موقع مركز الأبحاث العقائدية، -وهو كما سبق أن ذكرت مركز من مراكز آية الله العظمى السيد علي السيستاني- تأكيد على أن الإمامة أصل من أصول الدين. جاء بالنص في معرض الجواب عن سؤال عن الفرق بين أصول الدين وفروعه، ما يأتي:

«يمكن أن يقال :

١ ـ إن أصول الدين لا يجوز فيها التقليد ، بل على كل مكلّف أن يعرفها بأدلّتها ، وهذا بخلاف فروع الدين التي يمكن فيها التقليد .

٢ ـ إن إنكار أيّ أصل من أصول الدين يخرج منكره عن الدين، وهذا بخلاف فروع الدين ، إلاّ إذا أدّى إنكار فرع من فروع الدين إلى إنكار اصل من اصول الدين .

٣ ـ إن أصول الدين يمكن أن يستدلّ عليها بالعقل فقط ، والنقل يكون شاهداً مؤيداً ، وهذا بخلاف فروع الدين .

وأصول الدين عند الإمامية خمسة : (التوحيد ، العدل ، النبوة ، الإمامة ، المعاد).

وفروع الدين عشرة : (الصلاة ، الصوم ، الخمس، الزكاة، الحج، الجهاد، الامر بالمعروف ، النهي عن المنكر ، التولي لأولياء الله ، التبري من أعداء الله)». (انتهى النقل من موقع مركز الأبحاث العقائدية)

هل تسعة أعشار المسلمين خارجون عن الدين الحق؟

أقول - أنا محمد الهاشمي - تعليقا على هذا النص الذي نقلته من مركز الأبحاث العقائدية لواحد من أشهر مراجع الشيعة، آية الله السيستاني: إن أول ما يصدم فيه تأكيده أن إنكار أي أصل من أصول الدين يخرج منكره عن الدين. هذا التأكيد يجعل منكري الإمامة، وهم تسعة أعشار المسلمين في العالم، خارجين عن الدين.

يحاول سائل شيعي حريص، اسمه أبو فاطمة، تنبيه القائمين على المركز إلى خطورة هذا الأمر، فينصحهم بأن يقولوا إن إنكار الإمامة يخرج صاحبه عن المذهب وليس عن الإسلام، وينشر المركز هذا النصح تعليقا على الجواب السابق، ثم يرد عليه بما يلي:

«إن حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة وأن الناجية منها واحدة ثابت عند جميع المسلمين، ومنه نعتقد أن الإمامية هم الفرقة الناجية، كما تعتقد كل الفرق الأخرى ذلك في نفسها.

ونقول: اننا نعتقد أن الدين الحق الواقعي الذي أراده الله سبحانه

وتعالى لعباده وأرسل به رسول الله ﷺ وهو الإسلام والحنيفية، ومن أركانه تعيين النبيّ ﷺ للإمام والخليفة بعده إلى اثني عشر إماماً وخليفة آخرهم المهدي - عجل الله فرجه-. ونصطلح عليه بالإيمان وأن من لم يؤمن بالإمامة خرج عن الإيمان. أي عن الدين الواقعي الذي أراده الله (المذهب الحق).

ولذا يعبر علمائنا (هكذا كُتِبت، والصحيح: علماؤنا) بأنه خرج عن الدين أو الملة. مقابل الإسلام بالمعنى العام الذي عليه بقية فرق المسلمين والداخلين تحت حكمه من حرمة الدم والمال وحلية التزوج والذبائح والطهارة وغيرها من الأحكام، كما هو صريح كلمات علمائنا الأعلام.

... وهذا التقسيم متعارف عند علماء الكلام، وقد نصطلح عليه بالكفر العقيدي أو النظري، وهو ما يطرح عند المتكلمين ولا يلزم منه حلية الدم والمال، والكفر الشرعي أو العملي وهو ما يطرح عند الفقهاء ويلزم منه حلية الدم والمال، ولا ينزّل الكفر النظري إلى الكفر العملي إلا بدليل صريح كما في النواصب أو منكر الصلاة». (انتهى النقل. الرابط الالكتروني في موقع مركز الأبحاث العقائدية:

(http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=60&qid=665

أقول: خلاصة هذا الرد هو أن «من لم يؤمن بالإمامة خرج عن الإيمان. أي عن الدين الواقعي الذي أراده الله (المذهب الحق)»، ودخل فيما يسميه مركز الأبحاث العقائدية بـ"الكفر العقيدي أو النظري».

باختصار: منكر الإمامة ليس مؤمنا وخارجاً عن الدين الحق الذي أرادنا الله عز وجل أن نتعبد به.

ما يهمنا في هذا البحث هو ما يهم كل مسلم يطلب مرضاة الله وجنته: طلب الدين الحق الذي ينفع أمام الله تعالى يوم القيامة. والموقف الشيعي الذي يعرضه مركز السيد السيستاني على الناس هو أن منكر الإمامة خارج عن الدين الحق، وواقع في الكفر العقيدي أو النظري. بل هو على حد الشرك بالله، ومن الهالكين الخالدين في جهنم، نعوذ بالله من ذلك.

من أقوال الشيعة: منكر الإمامة على حد الشرك باللّه

يقول مركز الأبحاث العقائدية في معرض توضيح حقيقة أصول الدين عند الشيعة ما يلي: «الإمامة: وهي الاعتقاد بأنّ الله تعالى لمحل لطفه وعنايته بشأن المسلمين بعد قبض نبيه ﷺ لابد أن ينصب لهم نائباً عنه يقوم مقامه في تطبيق أحكام الشريعة، وأن هذا النائب هو الإمام وهو علي(عليه السلام) ، وأن الأئمة من ولده وهم أحد عشر إماماً كلهم معصومون، وأن الذي لا يعتقد بإمامة أحدهم على حدّ الشرك بالله، وأن من يموت ولا يعرف إمام زمانه يموت ميتة جاهلية، ويكون من الهالكين الخالدين في جهنم». (انتهى النقل. الرابط الالكتروني: http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=60&qid=675)

فهل للسيد السيستاني، ولبقية علماء الشيعة الإثني عشرية، أدلة واضحة من القرآن الكريم ومن أحاديث النبي ﷺ على هذا القول

العظيم، الخطير، الذي يوجب الإيمان بالإمامة والأئمة، ويزعم «أن الذي لا يعتقد بإمامة أحدهم على حدّ الشرك بالله، وأن من يموت ولا يعرف إمام زمانه يموت ميتة جاهلية، ويكون من الهالكين الخالدين في جهنم»؟

في المكتبة الشيعية مقالات كثيرة في بيان أدلة الإمامة وعظم شأنها. وفي باب «الأسئلة العقائدية وأجوبتها» في موقع مركز الأبحاث العقائدية نصوص كثيرة حول هذا الموضوع، نختار منها هنا جوابا ضافيا، بعنوان «أهمية الإمامة». جاء في هذا الجواب ما نصه:

«الدين الاسلامي هو رسالة السماء الخاتمة إلى الناس، نزل بها الوحي الأمين على سيد المرسلين محمد ﷺ ، وأمرنا باتباع رسالته والإيمان بكل ما جاء به ، والتسليم له في كل ما يقول ، ووبخ من يرفض الإيمان بها أو يؤمن ببعضها ويترك البعض الآخر.

قال تعالى في (سورة البقرة ٨٥) : ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾ .

ووصف المتقين في أول آيات (سورة البقرة : ١ـ ٤) بقوله :﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ

هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ (آل عمران ٧) .

إذا عرفت ذلك ، نقول :

إن الإمامة التي تؤمن بها الشيعة تبعاً للنبي ﷺ والأئمة عليهم السلام، مبدؤها القرآن، وأن القرآن نطق بها، فإذن يجب على الانسان المؤمن أن يؤمن بها وإلا كان ممن لا يؤمن ببعض الكتاب ، ورادا لبعض ما جاء به النبي ﷺ، ومن ثم يدخل في ضمن من أخبر الله عنه بأنه يصيبه عذاب شديد، بل وأكثر من ذلك كما سيتضح .

أدلة الشيعة على أن الإمامة مبدأ قرآني

نبقى مع مركز الأبحاث العقائدية في شرحه لأهمية الإمامة ومكانتها. يقول:

وأما كيف أنها مبدأ قرآني ؟

فنقول : قال تعالى مخاطباً إبراهيم بعد نبوته: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة : ١٢٤) ، وقال في (سورة الزخرف: ٢٨) وهو يتحدث عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وقال تعالى في (سورة السجدة ٢٤) : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾، وقال

تعالى في (سورة الأنبياء ٧٣) : ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾.

إلى هنا عرفنا أن الإمامة جزء من شرع النبي الأكرم ﷺ، جاء بها الوحي الكريم كما جاء بالصوم والصلاة والزكاة ، وأوجب علينا الإيمان بها ، وكذلك أوجب علينا الإيمان بالإمامة ، لأنها من عند الله وجزء من وحيه .

ثم إذا ذهبنا إلى آيات القرآن الآخرى رأينا أكثر من ذلك ، وأنها تجعل الإمامة وولاية الإمام كولاية الله سبحانه وتعالى وولاية رسوله ﷺ، وأنها ترتقي إلى مستوىً أعلى من الصلاة والزكاة.

قال تعالى في (سورة المائدة ٥٥ ـ ٥٦): ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾).

من أقوال الشيعة : الإمامة فوق الصلاة والزكاة

نبقى مع مركز الأبحاث العقائدية في شرحه لأهمية الإمامة ومكانتها. يقول:

ولا نريد الدخول في دراسة الآية كلمة كلمة ، فإن ذلك يطول ، لكن الآية حصرت الولاية بالله وبرسوله وبالذين آمنوا ، وجعلت من يتولاهم

من حزب الله سبحانه وتعالى، ومن الواضح أن عدم تولي الإمام (الذين آمنوا) يخرم القاعدة التي تدخل الإنسان في حزب الله، ومن يخرج من حزب الله، يدخل في حزب الشيطان ، إذ لا ثالث في البين ، مع أنّا لا نجد في القرآن من يترك فرعاً من الفروع ولا يعمل به يكون من حزب الشيطان ، فالإمامة فوق تلك الأمور ، أي الصلاة والزكاة ، ووجوب تولي الإمام كوجوب الصلاة والزكاة وأكثر ، كما عرفت .

وعندما نرجع إلى الأحاديث النبوية التي وردت من طرقهم (أي طرق أهل السنة) ، نجد أن النبي ﷺ يوضح لنا منزلة الإمامة والخلافة، وأن الإمام له منزلة لا تقل عن منزلة النبي ﷺ وسنته كسنة النبي ﷺ، وأنه يجب الرجوع إليه والإيمان به والأخذ عنه .

فعن النبي ﷺ أنه قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين بعدي تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ) (راجع : أحمد ١٢٦/٤ ، تحفة الأحوذي ٤٠/٣ ، الترمذي ١٥٠/٤ ، الحاكم في المستدرك ٩٦/١ وصححه ، وفي كتاب السنة لابن أبي عاصم وصححه محمد ناصر الدين الألباني ص ٤٦ ـ ٤٧) إلى غيرها من المصادر .

ففي هذا الحديث عدة أمور :

(١) أن هؤلاء هم الخلفاء الراشدون، وفي بعض الطرق الصحيحة أنهم مهديون ، اي لا يحتاجون هداية غيرهم من الناس .

(٢) إن هؤلاء الخلفاء لهم سنة أُمِرنا باتباعها .

(٣) إن سنة هؤلاء الخلفاء كسنة النبي ﷺ ، إذ قرن سنته بسنتهم، ومن الواضح أن سنة النبي ﷺ معصومة لأنه (ما ينطق عن الهوى إن هو

إلا وحي يوحى)، فكذلك سنة خلفائه، بدليل المقرونية والأمر بالاتباع المطلق.

ومن الواضح أن هذه الصفات لا نجد انطباقها على أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، فمن هؤلاء الذين هذه صفاتهم ؟!

الجواب: اذا رجعنا إلى (صحيح مسلم ٤/٦) نجده يجيبنا عن هذا السؤال، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثني عشر خليفة كلهم من قريش).

ومواصفات هذا الحديث، وهو قيام الدين بهؤلاء الإثني عشر، تتلاءم مع صفات الحديث السابق تمام الملائمة.

إذن يجب علينا الرجوع إلى هؤلاء، كما أمر الحديث، لأنهم هم المهديون والمبينون للسنة النبوية، والذين يقوم الدين بهم.

من أقوال الشيعة: منكر الإمامة جاهلي، أي على الحالة التي كانت قبل الإسلام

نبقى مع مركز الأبحاث العقائدية في شرحه لأهمية الإمامة ومكانتها. يقول:

بل عندما نذهب إلى السنة النبوية المطهرة نرى أن عدم الإيمان بهؤلاء جاهلية، كما في قوله ﷺ: (من مات وليس عليه إمام مات

ميتة جاهلية) (كتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٤٩٥ ، رقم ١٠٥٧ ، وصححه الشيخ الألباني)، وقال ﷺ : (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وهذا أخرجه : (مسلم ٢٢/٦ ، فتح الباري ٥/١٣، نيل الأوطار ٣٥٦/٧ ، المحلى ٣٥٩/٩ ، تحفة الأحوذي ١٣٢/٨، ابن كثير ٥٣٠/١)، وغيرها من المصادر الكثيرة .

فمن لم يؤمن بالإمامة هو شخص جاهلي ، أي : على الحالة التي كانت قبل الإسلام ، وهذا يوافق الآية ٥٥ و ٥٦ من المائدة التي تلزم المؤمنين بتولي الله والرسول والذين آمنوا الذين تصدقوا في الركوع وأن من لم يتولهم يخرج من حزب الله إلى حزب غيره ، وهو الشيطان ، فيكون ميتاً على جاهلية كأن لم يؤمن بالله وبرسوله.

من أقوال الشيعة: كما أن من لم يؤمن بالله أو النبي ﷺ لا يكون مؤمناً كذلك من لا يؤمن بالإمام.

نبقى مع مركز الأبحاث العقائدية في شرحه لأهمية الإمامة ومكانتها. يقول:

فتلخص مما تقدم :

(١) أن الإمامة جزء من الدين الإسلامي ، فيجب الاعتقاد بها كالاعتقاد بغيرها من أحكام الدين .

(٢) أن الإمامة ترتقي إلى أن يكون متولّي الإمام من حزب الله وألا يخرج منه .

(٣) أن الإمامة ترتقي أكثر لأن تكون من أساسيات الدين كالتوحيد والنبوة ، فكما أن من لم يؤمن بالله أو النبي ﷺ لا يكون مؤمناً كذلك من لا يؤمن بالإمام .

(٤) أن الامامة تعني القيام بالسنة النبوية وبيانها للناس ، وإنه يجب الرجوع إلى الإمام في أخذ الدين عنه كما أمرنا النبي ﷺ.

بعد ذلك كله ، كيف نقول : لا توجد أهمية لبحث الإمامة ؟!

وأما قولك على لسان المخالف بأن القرب الإلهي يحصل بالصلاة والسجود فما أهمية الموضوع ؟

فالجواب عنه : عرفت فيما تقدم مدى أهمية الموضوع، وإن الطريق إلى توحيد الله وعبادته هو بالالتزام بأوامره والأخذ بسنة نبيه ﷺ والتي يكون الإمام عمدتها وهو المبين لها .

أضف إلى ذلك : أن الدليل العقلي قاض بذلك ، حيث : إن الدليل على وجوب طاعة الله : أما اللطف ، وأما من باب شكر المنعم ، أو من باب قيموميته ، أو غير ذلك .

لكن العقل قاض بوجوب طاعة الله، وهذا العقل الذي يلزمنا بوجوب طاعته أيضاً يلزمنا بأن نطيع الله ونتقرب إليه من حيث ما يامرنا الله به، لا من أي طريق مهما كان، لأنه كما أن العقل أثبت وجوب حق الطاعة علينا لله ، كذلك أثبت وجوب طاعة الله من حيث ما يريده الله لا من حيث تشخيصنا نحن أو غير ذلك، لأن الله هو الرب وهو

الذي يحدد، لا أننا نحن الذين نحدّد، لأن الحق له، فهو صاحب الحق». (انتهى النقل من مركز الأبحاث العقائدية. الرابط لطباعة الجواب في شبكة الإنترنت:

(http://www.aqaed.com/faq/print.php?sid=75&qid=1452

أقول - أنا محمد الهاشمي-: هذه أدلة الشيعة لبيان أهمية الإمامة وعظم شأنها في الدين الإسلامي، بحيث إنهم يقولون «كما أن من لم يؤمن بالله أو النبي ﷺ لا يكون مؤمناً كذلك من لا يؤمن بالإمام». وقد عرضت الجواب كاملا دون اختصار أو تبويب ليكون القارئ على بينه من حجج الشيعة متكاملة مجتمعة، وسأبدأ مناقشتها بتفصيل في الفصل المقبل إن شاء الله.